الفصل الثالث

عاشق الليل والجمال

أيها الليل يا حبيبى.. ألم يعد لنا مكان نلتقى فيه إلا غرفة نومى؟

أين الشوارع، والملاهى، والفنادق؟

اخرجنى من بيتى كما كنا نفعل أيام الشباب....

واسهر معى حتى أرى أصدقاء عمرى:

السحر، والفجر،والصبح!

أيها الليل يا حبيبى... واترك عناء نومى للنهار!!!

كامل الشناوى

obeikan.com

عاشق الليل

يسترجع الكاتب الصحفى عبد العزيز صادق بعض ذكرياته عن كامل الشناوى، فيقول:

تختلف تجارب البشر.. باختلاف مهنهم.. للطبيب تجاربه فى الحياة مع الطب ومع المرضى وللمهندس تجاربه فى إطار عمله ومسئولياته وللمحامى تجاربه مع رجال القضاء ومع المواطنين الذين يتعاملون معه. وهكذا!!

ولكن للصحفى - على الدوام - أشهى وأشقى التجارب فى الحياة! إن كل خبر وراءه تجربة جديدة تحتسب فى رصيد الخبرات والذكريات... ومن هذا الرصيد تجد مادة للدموع والبسمات! فى تصويرى أن الصحفى وهو يلهث وراء الخبر، يظل يبحث عن ضحية أو ضحايا للخبر وماكينة الطباعة تعمل! وأحياناً - وهو يلهث وراء الخبر والإثارة - ينقلب من بطل إلى ضحية!... فى مكتبه بجريدة الجمهورية - وعلى قيد خمسة أو ستة أمتار من مكتبى دعانى أشرب فنجان قهوة وللدردشة! لعلنى من هذه الدردشة ومن أحاديث ذكرياته أجد مادة لكتابة موضوع الأسبوع فى مجلة "التحرير" التى كنت أتشرف بالعمل فيها رئيساً للتحرير!

كان ذلك فى مثل هذه الأيام والشتاء والبرد يطرقان الأبواب فى شهر ديسمبر عام ١٩٥٧ أى منذ ٣٩ سنة!!

طافت ذاكرتى بتلك الليلة مساء السبت الماضى فى ذكرى ميلاد كامل بيه" هكذا كنا نسميه إجلالا وإكبارا واحتراما - أقصد بالطبع شاعرنا العظيم الراحل كامل الشناوى.

بعد أن شربنا القهوة.... قلت.أريد أن أسمع منك "التجربة والخطأ فى حياتك" ما رأيك؟!

سكت قليلاً وسرح ببصره كأنه يفتش عن شئ فى مخزن ذكرياته الضخم... واستعد للكلام!! وحين يتكلم كامل الشناوى عن الماضى لا تملك إلا الإصغاء إليه بكل حواسك!! لأنك بعد لحظات من الاستماع بتركيز... تجد نفسك تشاركه الحياة فى ذلك الماضى. من خلال دقائق وتفاصيل الموقف الذى يحكى عنه، ويصفه بمهارة واقتدار يجعلانك تحس بأنك أمام ذاكرة نادرة عجيبة!!

قال كامل الشناوى والعهدة عليه كان الزمان ليلة من ليالى عام ١٩٣٩ وكان المكان بيت رئيس الوزراء محمد محمود باشا الذى كان يبعد عشرين مترا عن وزارة الداخلية وكان الحاضرون - كما يقول كامل الشناوى - هم الأساتذة مصطفى أمين وتوفيق صليب الذى كان محررا بالأهرام.... وكامل الشناوى!!

فى تلك الأيام كان عدد من كبار الأطباء اليهود الألمان قد هاجروا إلى فلسطين مع بداية الحرب العالمية الثانية! وكانت حكومة مصر فى ذلك الوقت تفكر فى دعوة هؤلاء الأطباء المشهورين جدا للعمل فى مصر والإقامة فيها بصفة دائمة! ولكن الأطباء هاجوا وثاروا.. لأن هذه الفكرة.. فى رأيهم - اعتداء صارخ على القومية العربية! صحيح أن القومية العربية - فى تلك الأيام - لم تكن قد عرفت بعد... ولكن الفكرة تمثل أيضاً اعتداء صارخا ظالماً على الطبيب المصرى وعلى مهنة الطب فى مصر !!!

رئيس الوزراء محمد محمود باشا - الذى كان يلقب ب "صاحب اليد الحديدية" كان مريضاً بمعدته.... وكان من بين هؤلاء الأطباء اليهود الألمان.... طبيب عالمى مشهور سبق له زيارة مصر لعلاج الاقتصادى

العظيم طلعت باشا حرب مرة.... ولعلاج عدلى باشا يكن مرة أخرى.

كان الطبيب اليهودى المشهور يتقاضى فى كل زيارة ألف جنيه عدا ونقداً... بخلاف نفقات السفر والإقامة !! وكان هذا الطبيب قد هاجر فى تلك الأيام إلى فلسطين!

فى تلك الأيام أيضاً... كان وكيل وزارة الخارجية البريطانية يزور فلسطين لمأمورية خاصة تستغرق عدة أيام!

فى تلك الليلة من عام ١٩٣٩ استدار الباشا محمد محمود تجاهنا - مصطفى أمين... وتوفيق صليب... وأنا - وقال: سأروى لكم خبراً هاما...ولكنه ليس للنشر !! واعتدل ثلاثتنا نصغى بانتباه شديد... قال رئيس الوزراء أريد انتهاز فرصة وجود وكيل الخارجية البريطانية ووجود الدكتور الألمانى فى فلسطين... فأسافر لأحقق شيئين فى رحلة واحدة:سأفاوض وكيل الخارجية الإنجليزى حول مسألة تكاليف الثكنات العسكرية المنصوص عليها فى معاهدة ١٩٣٦ فهناك وعد سابق بالتفاوض حول هذا الأمر لتخفيف قيود المعاهدة!! وفى نفس الوقت أعرض نفسى على الدكتور الألمانى!!

وسكت رئيس الوزراء لحظة... ثم قال "يا جماعة أوعوا الخبر ده ينشر" فرد توفيق صليب بسرعة "يا باشا أنا فى أجازة" ورد مصطفى أمين لسه بدرى على "آخر ساعة "وقلت أنا "والله أنا ماليش دعوة بالأخبار".

ثم يواصل عبد العزيز صادق استعادة ذكرياته عن كامل الشناوى، فيقول:

■ فى مقال سابق... قلت: أن ٧ ديسمبر، ذكرى ميلاد شاعرنا العظيم الساخر الضاحك الباكى كامل الشناوى! وقد يتساءل البعض وما رقم هذه الذكرى؟ قلت:البعض يقول إنها السابعة والتسعون! وفريق آخر يقول إنها

الذكرى ٨٧ والبعض الثالث يقول لى: إنك تحدد أى التاريخين أصدق!

أجبت: إن وراء الاختلاف حكاية طريفة!!

الحكاية.... كانت يوم ٢٤ اغسطس ١٩٥٧ - أى منذ ٤٠ سنة وبضعة أسابيع - يوم كتب أديبنا الراحل يوسف السباعى مقالا بجريدة الجمهورية بعنوان: كامل الشناوى يريد اغتيالى !! وحكى أن الشناوى أراد - با عتباره شاعراً وأديباً وكاتباً وصحفياً - استنباط وسيلة قتل من تراثنا القديم، فوجد ضالته فى قول سيدنا على بن أبى طالب رضي الله عنه: لو كان الفقر رجلا لقتلته! ولكن كامل بيه استبدل كلمة (الفقر) بكلمة (إشاعة) !! ثم يضيف السباعى فى مقاله:بمنتهى الجرأة والجسارة لم يشأ كامل الشناوى أن يكون الإنذار بقتلى خفية على طريقة خطابات التهديد أو المنشورات السرية... بل نشر إنذاره فى مقال نشرته جريدة الجمهورية التى كان رئيس تحريرها ووقع اسمه كاملا بجوار صورة له تفيض رقة وعذوبة مع ابتسامة حلوة!!

وهنا يتساءل بعض أو كل القراء: لماذا كل هذا؟ أيه الحكاية؟ وما سبب الإنذار القاتل؟ وما الذى فعله يوسف السباعى ليستحق الاغتيال بيد كامل الشناوى؟ القتل خنقاً بيدى كامل بيه يطبقهما حول عنق السباعى... ثم يضغط - ويداه غاية فى الضخامة والقوة... فيقع يوسف صريعاً بين هتاف وتصفيق القراء!!

جريمة يوسف السباعى... أنه أضاف إلى عمر كامل الشناوى عشر سنوات كاملة فى شائعة رددها يوسف بين الناس نقلاً عنى - أنا كاتب هذه السطور!! وفى مقالة يوم ٢٤ أغسطس ٥٧ فى "الجمهورية" قال: عندما كنت أقول للزملاء والأصدقاء والأحياء... إن كامل بيه من مواليد ١٩٠٠ لم يخطر ببالى للحظة واحدة أننى أردد شائعة!! شائعة باطلة

أستحق عليها الخنق!! لأننى أخذت ذلك عن حقيقة واقعة... فقد قدرت أيامها الرجوع إلى مصدر الشائعة... فسألت الزميل عبد العزيز صادق: من أين لك تحديد تاريخ مولد كامل الشناوى؟ فأكد لى بلهجة الواثق قائلاً: سمعت تحديد ذلك من "كامل بيه" شخصياً. وأكد لى عبد العزيز أنه أخذ المعلومات من مصدر موثوق به تماما!

ويقول يوسف السباعى- فى مقالة - لم أحاول بالطبع مراجعة تاريخ الميلاد مادام مصدره - كما أكد لى عبد العزيز - هو كامل الشناوى شخصياً!!

أكتفى بهذا القدر من كلام عمره أكثر من ٤٠ سنة... ولكن لا يفوتنى أن أشير إلى مدى السعادة التى كان يشعر بها أصدقاء وأحباء "كامل بيه" من الأدباء والشعراء والكتاب والصحفيين... وهم يرددون ما يسمعونه من يوسف السباعى عن ميلاد الشناوى!

أتذكر بصيغة خاصة سعادة كل من صالح جودت،وأستاذنا العقاد، وأستاذنا توفيق الحكيم، وإحسان عبد القدوس... ونجيب محفوظ وعبد الرحمن الشرقاوى، وأمين يوسف غراب... وصلاح ذهنى !! ذات يوم فاجأنى كامل بيه بسؤال:كيف تقول بثقة شديدة أننى قلت لك أننى من مواليد سنة ١٩٠٠؟ أجبت:هذا ما قلته لى... وقد سجلت ذلك فى كتاب أهديتك نسخة منه فور صدوره ولم أتلق منك أى اعتراض على ما كتبته عنك ومعه صورتك الضاحكة! ولم تكذب ما كتب وسكوتك دليل على صحة ما كتب!!

ضحك كامل بيه وقال: معنى ذلك أن... ما طبع فى كتابك قد أصبح وثيقة لا نقض فيها ولا إبرام؟ أجبت:بالظبط يا كامل بيه!

أوراق من حياة كامل الشناوى

وتتناول مجلة "آخر ساعة" عدة أوراق من حياة كامل الشناوى، فتقول:

الورقة الأولى

طفولة حزينة... مقيدة ظلت ذكرى محفورة فى وجدانه إلى اليوم الأخير له فى الدنيا. جاء إلى الحياة فى ٧ ديسمبر عام ١٩٠٨ - أى أنه من مواليد برج القوس - وشهدت قرية "نوسا البحر" بمحافظة الدقهلية هذا الميلاد الذى أحدث ضجة فى العائلة وبين المعارف وقتها... لماذا؟

لأن المولود ضخم الجسد. بدين لذلك أخفته أمه عن عيون الناس خوفا من الحسد. ولم تكن تدرى أن هذا الجسد الضخم. البدين سوف يكون محور المعاناة والسبب فى آلام نفسية لم تبرح هذا الجسد البدين الذى شاء قدره أن يحمل بين أحشائه قلباً يفيض بالرقة والشفافية والشاعرية.

وانزوى الصغير بعد مشاكل كثيرة شبت بينه وبين الأطفال فى الشارع بسبب اختلافه الشديد عنهم فأقنعه والده بالتزام البيت وقضاء وقته فى القراءة،ثم قرر أن يدرس فى المنزل ويحفظ القرآن الكريم كله... ثم دخل الأزهر بعد ذلك.

ويقول يوسف الشريف مؤلف كتاب "كامل الشناوى... آخر ظرفاء ذلك الزمان"

عاش كامل الشناوى طفولته وصباه أشبه بجزيرة ثقافية ودينية مغلقة على نفسها، بينما حوله ستة من الأشقاء منطلقين فى عوالم الرياضة والقوة والرشاقة بينهم مأمون الصحفى الشاعر ويمارس حمل الأثقال،

وعبد الفتاح ملاكم ولاعب كرة وحامل أثقال أيضاً، وعبد الرحيم أصبح فيما بعد حارس مرمى نادى الترسانة وأحمد ملاكم، أما هو فقد أعجزه تكوينه الجسمانى المترهل عن المشاركة فى أى من هذه الرياضات، اللهم إلا إجادة لعب الطاولة والورق، وعندما ألح عليه أخوته ذات يوم أن يتعلم ركوب الدراجة، وافقهم على مضض،ولكن العجلاتى لم يو' نق بعد أن تأمل بدانة الزبون!

كان أبوه قاضياً شرعياً تنقل كثيراً فى بلاد الدلتا والصعيد ولم يكن كامل يحب أن يتنقل معه إلى أن نقل أبوه إلى القاهرة كنائب رئيس المحكمة العليا الشرعية فاستقرت الأسرة كلها فى السيدة زينب.

وكان كامل يحب قريته "نوسا البحر" خاصة بعد أن توثقت علاقاته بعدد من الشباب المحب للمعرفة والأدب وكان من بينهم الدكتور إبراهيم ناجى - شاعر الاطلال - وعلى محمود طه - شاعر الجندول - وصالح جودت ومحمد التابعى والهمشرى.

الورقة الثانية

ضاق الفتى المقبل على الشباب كامل الشناوى بالدراسة فى الأزهر بعد ٣ سنوات قضاها به واعتكف فى بيته يتلقى بعض الدروس الفر نسية استعدادا للسفر إلى فرنسا. ولكن الظروف منعت تحقيق هذا الأمل...

وبدأ يعلم نفسه.. وجد فى كتب والده وفى دار الكتب ومما كان يشتريه منهلا كبيرا. وعشق الأدب فحفظ أكثر دواوين الشعراء القدامى والمحدثين.

ثم بدأ عهده بالصحافة عام ١٩٣٠ مصححاً ومحررا فى جريدة "كوكب الشرق" ثم انتقل منها إلى جريدة "الوادى" وكان يرأس تحريرها طه حسين، ومنها إلى روزاليوسف اليومية، ثم "الأهرام" ثم "دار الهلال" ثم

رئيس تحرير لآخر ساعة ثم استقال ليساهم فى إصدار الجريدة المسائية. ولما أغلقت عاد إلى الأهرام ومنها إلى "أخبار اليوم" ثم استقر به المقام رئيساً لتحرير الجمهورية حتى عام ١٩٦١.

ورقة... بين الأوراق

وهى ورقة من كتاب الحياة العريضة التى عاشها شاعر الحب المغرد. قصاصة عمرها الآن ٢٩ عاماً باليوم. فقد نشر هذا الحديث معه بمجلة أسبوعية فى ٢٨ نوفمبر ١٩٦١

من أنت؟

- لقد خطر لى هذا السؤال من قبل.. وأودعته إحدى قصائدى وقلت:

أنا.. من أنا؟ أنا من أكون؟ وسيلة؟! أم غاية؟! أنا لست أعرف من أنا!!

هذه إجابة فلسفية.. ولكنى أسالك بكل بساطة.. أنت مين؟!

فابتسم وقال:

- أنا صحفى، هوايتى الأدب، أو أديب هوايته الصحافة.. وأحاول أن أؤدى واجبى ككاتب وشاعر.. وهدفى فى الحياة أن أعمق فى الإنسان شعوره نحو الناس.

وأن أجعل الحياة جميلة، وأن أعبر عن آمالى وآمال الإنسانية بصدق وحرارة.. وأن أعبر أيضاً عن الألم بكلمة أو أغنية، وحياتنا هى آمال وآلام، انتصارات وهزائم، ابتسامات ودموع.. وهذه هى حقيقة الحياة وسرها وجاذبيتها.

كرجل.. ما الذى يبكيك؟

- لا يبكينى إلا الألم

أى أنواع الألم؟

- الألم العاطفى.. أما الألم المادى كآلام المرض مثلا فأنا أقدر عليها.

وما الذى يفرحك؟

- النجاح.. أنا أفرح بنجاحى فى مقال أو قصيدة، وأفرح للناجحين.. وأذكر أننى انتشيت عندما سمعت نبأ انطلاق جاجارين إلى الفضاء،، وعودته إلى الأرض، فرحت لنجاحه كما لو كان صديقا شخصياً لى. وكلما رأيت إنساناً ناجحا أحسست بأن آمالى تنمو.

ما هى نقطة الضعف عندك؟

- الحنان والرغبة الملحة فى إسعاد الآخرين ولو كلفنى ذلك أن أشقى!

من الإنسان الذى تكرهه؟

- أنا أحب ولا أحب، لكنى لا أكره. أحب الإنسان الذكى ولاأحب الإنسان الغبى، وأعتقد أن الخير وكل فضيلة طيبة تستند إلى الذكاء. وإن الشر وكل رذيلة كالحقد والكراهية والحسد لا تنبع إلا من الغباء. لهذا أحب الأذكياء ولا أحب الأغبياء. أما الوسط، أى الذى ليس غبياً ولا ذكياً والذى ليس جاهلاً ولا مثقفاً، فهذا لا ينزل لى من زور، فأنا لا أبلع الأنصاف.. لأنهم بلا شخصية.

لماذا لم تتزوج؟

- إن عدم زواجى له سببان. السبب الأول فلسفتى الخاصة. وهى أننى مشكلة لم تحل حتى الآن. وكما قلت من قبل، ما هى الحياة، من أين وإلى أين نمضى؟ أننى مشكلة. وليس من المعقول أن أتزوج وأتسبب فى خلق إنسان منى فكأننى بدلا من أن أحل مشكلة نفسى أوجدت للدنيا

مشكلة أو مشاكل جديدة.. والسبب الثانى هو الصحافة.. فقد كانت"الصحافة" على أيامنا مشقة وعدم استقرار والصحفى مهدد بالتعطل والجوع.. فكيف كنت أقوى على تشريد أطفال وزوجة معى؟!

هل يمكن أن تخبرنى من هى أول امرأة فى حياتك؟

- ليس ذلك من حقى

وآخر امرأة فى حياتك؟

- وهذا أيضاً ليس من حقى؟

ما الحب فى رأيك؟

- الحب عذاب جميل

ما أجمل ما فيه؟

- الوهم

وأقبح ما فيه؟

- الحقيقة؟

ورقة مكتوبة بالدموع

لاتكذبى...
إنى رأيتكما معا
ودعى البكاء
فقد كرهت الأدمعا
ما أهون الدمع الجسور إذا جرى
من عين كاذبة

obeikan.com

فـــــــــــأنــكـــر وادعـــى!!

* * *

إنـــى رأيـــتــكـــمــــــــــــا

إنــى ســـــمـــــعــــــتـكـمــــا

عــــــيـنــاك فــى عـــــيـنـيــــــه

فــى شـــــفـــــتـــــيــــــــه

فــى كـــــــفـــــــيـــــــــه

فــى قـــــــدمـــــــيــــــــه

ويـداك ضــــــــارعـــــــتــــــان

تـرتـعـــــشـــــان من لـهف عـلـيـــــه

إلى أن يقول كامل الشناوى بدموع قلبه:

كـــــونى كـــمــــا تبــــغــــين

لــــكـــن لـــن تـــكـــونـــــى!!

فـــــأنا صنعـــــتك من هـواى، ومن

جــــــنـــــــونــــــــى..!!

ولقد برئت من الهوى ومن الجنون..!!

هذه القصيدة كتبها كامل الشناوى فى بيت الأستاذ مصطفى أمين ويقول الأستاذ مصطفى أن كامل الشناوى كان يكتبها وهو يبكى بحرارة وعندما انتهى من كتابتها توجه إلى التليفون ليقرأها على الفنانة الشهيرة التى كتبها من أجلها. وكان الأستاذ مصطفى أمين والموسيقار محمد عبد

obeikan.com

الوهاب معه فى هذه الليلة يستمعان إلى الحديث من السماعة الأخرى فى غرفة النوم وبعد أن قرأ كامل الشناوى القصيدة للفنانة التى أحبها كما لم يحب امرأة فى حياته. وكانت الدموع تملأ وجهه فوجئ بها ترد عليه ببرود وجمود. وتقول له عظيمة جداً. ممكن أغنيها يا كامل..

وقصيدة "لاتكذبى" أثارت من الحكايات والتفسيرات ما لم تثره قصيدة أخرى فى حياة كامل الشناوى أو ربما فى حياة شاعر فهذه رؤية واحدة من كبار الكتاب وأقدرهم إلى كامل الشناوى لقصة الحب الشهيرة بين الشاعر الرقيق والفنانة المشهورة.

كتب جليل البندارى فى أخبار اليوم فى أغسطس ١٩٦٨ يقول:

أصبحت نجاة الصغيرة فجأة وبلا مقدمات قطعة منى

أننى لم أرها منذ أكثر من ستة شهور وربما سنة. ولم يحاول أحدنا أن يسأل عن الآخر بالتليفون، ولكن نجاة التى كانت صديقتى اللدودة. أصبحت الحميمة!!

كنا لا نلتقى الا فى ساحات المحاكم وأمام القضاء. فأصبحنا نلتقى فى بيوتنا وبين أولادنا لنضحك ونسخر من الأيام التى لم يكن أحدنا يفهم فيها الآخر. ما الذى جعل العداء المستحكم يتحول إلى صداقة عظيمة؟

كان الشاعر الفنان كامل الشناوى لا يطيق كلمة منى أو من أى كاتب أو صحفى تغضب نجاة. وبالرغم من صداقتنا القوية - أنا وكامل الشناوى - فقد قرأ مقالا وجدنى أتعرض فيه لنجاة فرفع بنفسه دعوى ضدى.

كان يحبها حباً عظيماً.. وكنا نحن الصحفيين نعلم أن هذا الحب من طرف واحد فقط! ولكنه كان يخلق لنفسه عالماً من الوهم والخيال، وكان يحب الكثيرات.. كان يحب نادية لطفى وسعاد حسنى وثلاث مذيعات

جميلات فى التليفزيون. ولكن حبه الكبير. حبه الذى استغرق منه ديواناً من الشعر.. حبه الذى صوره فى تجربته العاطفية الشهيرة باسم "لاتكذبى" هو حبه لنجاة.

وانتقل كامل الشناوى إلى الحياة الأخرى.. وقبل أن يذهب بأسابيع وصفها لى وصفا دقيقاً.. ولا حظنا نحن الذين نعرف علاقة الصداقة القوية المتينة بين كامل الشناوى ونجاة.. إن نجاة لم تحزن من أجل فراقه ولم يبد عليها أنها حتى تأثرت كقارئة من قارئات الكاتب والشاعر العظيم!

إذا كانت علاقة كامل الشناوى بنجاة وهماً فقد كانت علاقة نجاة بكامل الشناوى حقيقة!

كان هو يحبها كما يحب الشعراء الأوهام والليل والنجوم بعيدة المنال! وكانت هى تنظر إليه كأعز صديق ظهر فى حياتها! وكانت تعلم أنه يغار عليها من هبات النسيم!

وبعد ستة شهور من رحيل كامل الشناوى رأيت نجاة تزورنى وتجلس أمامى وتنفجر بالبكاء!

وأحسست لحظتها بأن كامل الشناوى الذى لم يستطع أن يخلق منا صديقين وهو على قيد الحياة. قد استطاع أن يفعل ذلك بعد وفاته! وأخذت نجاة تسألنى..

أين كامل الشناوى.. أين كامل الشناوى؟! ثم أخذت تروى لى قصة كامل الشناوى المرهف من وجهة نظرها - ولكن.. أين ذلك الشاعر المرهف الذى يستطيع أن يروى على لسانها قصة من أخلد قصص الحب والغرام. لقد كان كامل الشناوى على استعداد لأن يدفع نصف عمره فى نظير أن يستمع إلى رأى نجاة فيه.. ويرى دموعها من أجله! حقا لقد كان كامل الشناوى شاعراً أنيقاً يعيش بقلب مشرد.

ورقة من أوراق العقل

وهى ورقة من أوراق الكاتب الصحفى الكبير صلاح حافظ كتبها عن كامل الشناوى، قال:

لا أكاد أعرف أديباً أو فناناً من جيلنا الحاضر غير مدين لكامل الشناوى!

لا أقصد بهذا الدين الثقافى وحده.. وإنما أقصد الدين بمعناه المادى أيضاً.. فقد كان كامل الشناوى حين يرعى موهبة جديدة يتحمل عنها جميع همومها: يشترى الكتب للأديب الناشئ يصحب الفنان إلى الترزى يفصل له ثياباً أفضل.. يخصص حجرة فى بيته لإقامة الشاعر الذى ليس له بيت، ينشر للكاتب الجديد فى الصحيفة التى يعمل بها ويدفع له من جيبه دون أن يخبره بذلك.

ولم يكن كامل الشناوى يكتفى بهذا. وإنما يعتبر رسالة حياته إرغام الدنيا كلها على الالتفاف للموهبة التى تحمس لها. فلا يترك سيرة أو حديثاً أو اجتماعاً، الا ويحوله إلى فرصة دعائية لصاحب الموهبة.. ويكاد يقنع الجميع بأن الله لم يخلق مثله. ويبالغ إلى حد أن يسجل بصوته قصيدة شاب مجهول.. لكى يسمعها لزواره كل يوم. ويفرض عليهم أن يحفظوا اسمه. فإذا ما لمع هذا الاسم وبدأ صاحبه يشق الطريق مستقبلاً، تحول عنه. وتفرغ لموهبة جديدة!

وكان السبب موقفه الفريد من الأدب والفن.. كان يعشقهما لذاتيهما.. لا يحب شعره، وإنما يحب الشعر، لا يتذوق أدبه. وإنما يتذوق الأدب. لا يسعد بتفوق فنه فى الكتابة، وإنما يسعد بتفوق فن الكتابة. وليس فى التاريخ أديب أو فنان تجرد من الأنانية مثله، كأنه فى محراب الفن اختار دور العابد لا دور الكاهن، وكأنما اختار سماء الأدب، لا لكى يلمع هو فيها، ولكن لكى يجملها بأكبر عدد من النجوم التى تزيد من رونقها ولا

جدال فى أن كامل الشناوى قد دفع غالياً ثمن هذا الموقف الصوفى فى عالم الثقافة. فهو يوم مات لم يكن فى الأسواق غير ديوان شعر واحد "لاتكذبى".. بينما كانت تغمر الأسواق مئات الدواوين التى أخذت عنه. ونسجت على منوال أسلوبه وشق أصحابها الطريق بفضل رعايته.

ويوم مات كان عدد كبير من كتاب القصة والرواية والمقال. وكتاب الصحافة يملؤون أسماع العالم العربى وكان هو الذى فتح الطريق أمامهم بينما كانت قصصه ومقالاته مبعثرة فى أربعة أرجاء الصحف المصرية.. لا يكاد يذكرها أحد.

فكامل الشناوى لم يبذل فى شعره وأدبه غير جزء من طاقته الفنية. أما الجزء الأكبر فقد فضل أن يعيشه. وكانت حياته نفسها من أروع أبيات شعره. وكان إنتاج الذين رعاهم من أروع سطور أدبه.

فأدب كامل الشناوى ليس الأدب الذى كتبه فقط. وإنما الأدب الذى عاشه.

ورقة عرفان بالجميل

وهذه الورقة كتبها الكاتب الصحفى الأستاذ موسى صبرى قبل عام واحد من رحيل كامل الشناوى فى ٢٨ أكتوبر ١٩٦٤ قال فيها: إن فى عنق أبناء هذا الجيل من الصحفيين والكتاب لكامل الشناوى ديوناً متراكمة مستحقة الأداء دائماً. فكيف يستطيع أحمد بهاء الدين وأنيس منصور وفتحى غانم وسعيد سنبل وصلاح حافظ وكمال الملاخ وعبد الرحمن الشرقاوى. ويوسف إدريس ومحمود السعدنى وكل من تصدر للرأى والكلمة والعمل الصحافى فى العشر سنوات الأخيرة. كيف نستطيع أن ننسى مكتب كامل الشناوى؟ كان دائماً الصدر المفتوح لأفكارنا وإنتاجنا يوم أن كنا ندخل مكتب كبار الصحفيين بأقدام مرتعشة مترددة.. وأن يد كامل الشناوى دفعتنا من أول الطريق لتوفر علينا كثيراً من المشقة والجهد؟

انه يقدم لنا قمم الأحداث فى حياة جمال الدين الأفغانى وغيره من أعلام الشعر والفن والفلسفة والعلم فى تاريخنا.. وكأنه عاش معهم هذه الأحداث.. جالسهم وناقشهم.. انفعل بهم وارتدى بأفكارهم لقد ألغى مقاييس الزمن بخياله. وسجل حقائق الأحداث بقلمه مستعينا بقراءاته عنهم. مستلهما حكم التاريخ عليهم.

ولكن كامل الشناوى كما يعبر هو عن نفسه.. شئ حى نابض لا يكتمل أبداً.. سمعته كثيراً يقول عن نفسه: أنا لحن ناقص.. أنا مطلع قصيدة. أنا سطور من قصة.

وهذا القول فيه دفاع أكثر مما فيه من وصف صادق!

لقد بدأ منذ عشر سنوات بحثاً رائعاً عن الشاعر أبو نواس بهذا الأسلوب الجديد الذى استحدثه وهو يؤرخ حياة جمال الدين الأفغانى.. وقرأنا له من البحث ثلاثة أو أربعة أجزاء.. رأيناه وسمعناه فى ركاب "أبو نواس" يروى أيامه وكأنه يشاركه فيها ساعة بساعة.. ثم فجأة توقف القلم فى يده.. وطوى كامل الشناوى صفحات بحثه وكأنه ليس خالقها وصاحبها.. ودفعته شياطينه إلى الخلوة مع قصيدة جديدة.. ولكنه لم يطق صبراً على اعتقال وجدانه بين جدرانها.. فانطلق إلى القصة.. ثم ضاق بأبطالها فحمل حقائبه إلى الأسكندرية يلتقى بالناس والنسيم والبحر.. ثم نراه يعود إلينا فجأة ليفكر فى حديث صحفى من أحاديثه المشهورة.. وهكذا تمضى حياة أستاذنا! ولولا أصدقاؤه الذين جمعوا كتاباته المتناثرة المتباعدة عن الأفغانى ومحمود سامى البارودى وعبدالرحمن الكواكبى وقاسم أمين وسيد درويش وإسماعيل صبرى.. ولولا شغف مريديه الذين انتزعوا من قلبه أحاديثه مع أحمد شوقى وأحمد لطفى السيد ومصطفى عبد الرازق وعلى مصطفى مشرفة لما خرج لنا كتاب "لقاء معهم".

ورقة من أوراق الليل

يحدثنا عنها الكاتب الصحفى صاحب الفضل الكبير فى إخراج الكتاب الوحيد الذى صدر حتى الآن عن سيرة واحد من علامات الشعر والأدب فى مصر.. كامل الشناوى.

يقول يوسف الشريف: على مدى ربع قرن أو يزيد.. كان خلالها نجم ليل القاهرة بلا منافس، ليل الصحافة والأدب والفن، ليل الجلسة الموحية، ليل الشعر، وليل النكتة الساخرة والحوارات الذكية والقفشات اللاذعة والمقالب المحبوكة التى لا تنسى.

وكانت صالونات ومقاهى ومنتديات ما بعد منتصف الليل دائماً على أهبة انتظاره.. يبث فيها من روحه روحاً ومرحا ورقة وصخبا، فقد كان محدثا ومؤانسا من أبرز وأظرف ظرفاء زمانه!

وكانت كلماته كأنها الصحف السيارة.. ما أن يصوغها بوجدانه ويطلقها لسانه حتى تنتقل إلى حيث يريد لها أن تنطلق. وتنتشر وتؤثر فى المليان.

وشهدت الكثير من المقاهى والأندية الليلية والفنادق هذه الأمسيات الجميلة لكامل الشناوى ومريديه. ومنها فندق الهيلتون وشبرد وسميراميس ومقهى اللواء ومطعم الباريزيانا بشارع الألفى وغيرها.

وورقة من أوراقه من الليل

يا ليل.. حذار أن تتخلى عنى.. كن معى.. تشبث بوجودك لا تدع فجر الغد يتسلل إليك ويطويك.. قاومه.. مزق خيوط شمسه قبل أن تشرق.. فأنا لا أستطيع أن أواجه هذا الغد الذى سترحل فيه عنى من عجزت عن أن أحبها. وعجزت عن أن أنساها!

إنها كلما اقتربت منى.. ألهبتنى، وإذا ذهبت إلى مكان بعيد.. أحرقتنى لا أريد أن أحترق، اللهب يكفى.. فقف مكانك يا ليل.. لا تدر مع الأرض حتى لا يجئ يوم الوداع الذى ليس من حقى أن أقول لها فيه كلمة وداع! أيها الغد.. ليتك تضل طريقك إلينا ولا تجئ أبداً!

ومن أوراق العشق

بهرتنى وهى تمشى بيننا، القوام كالسيف ممشوق ورقيق.. الشعر الأشقر كخيوط الشمس لا ينسدل على جبهتها، ولكن يدنو منها ويلثمها.

العينان الزرقاوان، يلمع منهما صوء خاطف كشعاع تخلصت منه نجمة وهى تهرب فى طيات السحاب!

الخدان نابضان برعشة حمراء ناضرة. يفصل بينهما أنف صغير. ولكنه مهيب. كأنما يحاول بمهابته أن يمنع أحد الخدين من التهام الخد الآخر!

الفم يباهى بشفتيه المكتنزتين بلباقة.. وقد بدا باستدارته. وحمرته. ورقته. أشبه بكأس مصنوعة من قبلة وابتسامة.

العنق الجميل يتحرك كالزهو. وسكن كالكبرياء. والذقن حلو أنيق. تزينه غمزة مبهمة.. ظننتها توقيع الله!

ومن أوراق.. للصحفى

"لاتحذروا منى، كان هذا عنوان يوميات كتبها كامل الشناوى فى جريدة الأخبار فى مايو ١٩٥٥. كتبها رداً على يوميات الأستاذ محمد التابعى التى كتبها عنه.

قال كامل الشناوى. فأجانى اليوم صديقى الأستاذ محمد التابعى بكلمة فى يوميات "الأخبار" تحت عنوان "احذروا كامل الشناوى" ولولا أن كاتب الكلمة هو محمد التابعى لخشيت أن يكتفى بعض القراء بقراءة

العنوان ويفهموا منه أنه مجرد تحذير من معاملتى. ولكن أين هو القارئ الذى يقف من مقال يكتبه التابعى عند عنوان المقال. أو نصف المقال. بل أين هو القارئ الذى يقنع بقراءة كل سطر يكتبه التابعى ولا يتجاوز ذلك إلى قراءة ما وراء السطور وما بين السطور؟

ولقد خرجت من كلمة التابعى بما أخجل تواضعى.. فقد رمانى بصفات لا أعرفها فى نفسى من بينها الدهاء وسعة الحيلة. والدحلبة، ونصب الشباك والفخاخ للساسة والأدباء ورجال الدين إلى آخره. لكى يدلوا بأحاديث وصفها بأنها أحدثت ضجة وضرب لذلك أمثلة أحاديثى مع حافظ عفيفى ونجيب الهلالى وطه حسين وأخيراً حديثى مع الأستاذ الأكبر شيخ الأزهر! وتطرق من هذا إلى مهاجمة الأستاذ الأكبر لأنه نادى فى هذا الحديث بتعدد الزوجات!

وقد أشفقت على شيخ الأزهر من هجوم التابعى عليه. فالشيخ رقيق نحيل واهن العظم. واهن القوى وقلم التابعى مرهف حاد.. عات كالعاصفة. قاس كالحريق. وقد وصف حديث شيخ الأزهر بأنه فضيحة "أن العالم سيقول أن المسلمين أمة من الحيوانات، ولن يعزينا أننا حيوانات فحول!

وأراد التابعى أن يحملنى مسئولية استدراج الشيخ إلى هذا الرأى وكنت أود أن أتحمل المسئولية. ولكن الحقيقة غير ذلك. فأنى لم أستدرج الشيخ، ولم أفاجئه بسؤاله عن رأيه فى تعدد الزوجات، بل الذى حدث أنى ناقشته فى هذا الموضوع. وأنا من القائلين بتحريم التعدد طبقا لما فهمته من نصوص الآيات القرآنية الكريمة. وكنت أظن أن الشيخ سيوافقنى على التحريم. وإذا به يفيض فى تبرير تعدد الزوجات ولما نبهته إلى خطورة هذا الرأى قال: هذا رأى الإسلام وقد سجلته فى كتاب.. واسم هذا الكتاب "أحكام الأحوال الشخصية فى الشريعة الإسلامية".

ولعل هذا التفسير يقنع الأستاذ التابعى بأنى لم أنصب للشيخ الأكبر فخاً ولا شركاً.

أما الأحاديث الأخرى فلا يتسع المجال لشرح تاريخ كل حديث منها. وما أحاط بها من ملابسات وظروف وسيتأكد التابعى من أنى لا أستخرج ولا "أدحلب ولا آخذه على غرة.. سيتأكد من ذلك إذا علم أن بعض هذه الأحاديث استغرق إعداده شهرين مثل حديث حافظ عفيفى.

إن ما كتبه التابعى عن طريقتى فى انتزاع الأحاديث تحية سأعتز بها مدى الحياة..

وورقة للشقيق

أما شقيقه الشاعر والكاتب الصحفى مأمون الشناوى فقد كتب فى مقدمة ديوانه "لاتكذبى." فقال:

لو أردنا أن نسجل حياة كامل الشناوى العاطفية بصدق وأمانة لما وجدنا إلا وسيلة واحدة، وهى أن نرتب قصائده ترتيباً زمنياً لنخرج من شعره فى النهاية بأكثر من قصة حب.

قد نجد فى البيت الواحد قصة حب طويلة.. وقد نجد فى القصيدة الطويلة قصة حب قصيرة.. وكل ما سكبه كامل الشناوى من شعر يحس قارئه أو مستمعه أنه نبع من قلب الشاعر ليستقر فى قلوب الناس.. وتلك هى أشعة الإلهام التى يهبها الله لمن يشاء من عباده الموهوبين الملهمين..

إنما تحس فى شعر كامل الشناوى صدق العاطفة وطهارة الإنسان المترفع عن الدنيا.. الحريص على كرامته ألا تهان أو تمس ولو بأنامل حبيبته.

أما دموعه وأحزانه فقد كان يسكبها فى شعر.. إيقاعه نبض قلبه.. وكلماته فيض مشاعره وحبره دم فؤاده.

ومضت ٢٥ عاماً على رحيل الفارس.. فارس الرومانسية طائر الحب المغرد.. ولا تزال نبضات قلبه المخبوءة فى سطور دواوينه ومشاعره الصادقة النائمة بين أوراقه فى زمان وسلام.. تردد اسمه بكل الحب والعرفان والامتنان!

■■■

obeikan.com

عاشق الليل

ولقد لعب كامل الشناوى دورا كبيرا فى تشجيع المواهب المغمورة ومساعدتها ومساندتها حتى تلمع، ثم يواصل البحث عن مواهب أخرى.

ويلقى لنا الأديب الناقد الكبير رجاء النقاش الأضواء على هذه الناحية فى حياة كامل الشناوى الذى ظل يبتسم حتى مات، فيقول[1]:

"كان ذلك منذ أكثر من عشر سنوات حوالى سنة ١٩٥٤ عندما التقيت بكامل الشناوى لأول مرة.... كان اللقاء فى مكتبه الكبير الواسع بالصحيفة التى كان يعمل بها... يومها صافحنى كامل وكأنه يعرفنى ويحبنى،ولم أكن فى ذلك الوقت إلا نباتا صغيراً ضعيفاً لا يكاد يقوى على الوقوف فى وجه الضوء.... وعرفت بعد ذلك أن كامل الشناوى يسلم على جميع الناس بهذه الطريقة.. إنه يمد إليك يده ومعها ابتسامة عريضة وبهجة فى العينين.. وبشئ لا تستطيع أن تحدده بالضبط حيث تشعر كأنه من قديم يعرفك... وكأنه من قديم يحبك... تلك عادته وذلك طبعه... يعرف الكل ويحب الكل".

"على أن أكثر ما لفت نظرى وأدهشنى - وأنا الريفى الوافد من قريتى... بطينى - أن كامل الشناوى كان يفتح باب مكتبة الكبير الضخم على مصراعيه... وأن المكتب نفسه كان أشبه بالمقهى البلدى... أنه مزدحم بالناس، يتحدث الجميع ويتناقشون ويلتفون حول كامل فى صخب عنيف، وكان كامل يبدو بين الجميع سعيداً مشرقاً إلى أبعد الحدود، حكايه الباب المفتوح هذه ظلت تلازم كامل الشناوى حتى النهاية، كذلك حكاية الصخب

(١) رجاء النقاش، كلمات فى الفن، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٠.

البشرى الذى يحيط به... ولا أذكر مرة أننى دخلت مكتبه إلا ووجدت بابه مفتوحا على مصراعيه، وما كان كامل الشناوى ليستطيع أن يعيش أبدا وراء الأبواب المغلقة، وما كان ليستطيع أن يعيش وحيداً، وكانت هذه فضيلته الكبرى وكانت نقطة ضعفه فى نفس الوقت.... كانت فضيلته الكبرى، لأن الأبواب المفتوحة دائما حافظت على علاقة كامل الشناوى بالحياة ساحنة ملتهبة حارة، لم ينفصل أبداً عن الناس فكان يعرفهم ويعرف كيف يحبهم، وكيف يكتشف ما فيهم من خير وجمال وأخطاء، ذلك لأنه كان يتغنى بالجمال، وكان يتفنن فى السخرية بالأخطاء، وقد حافظ كامل الشناوى ببابه المفتوح على طبيعته الريفية التى تحب الحياة فى النور، تحت أشعة الشمس، تحت سقف السماء مباشرة، هذه الطبيعة الريفية دائما تكره البيوت التى تشبه القلاع والحصون، ولست أدرى هل عاش كامل الشناوى فى قريته "نوسا" أم لا، لكننى أعتقد - حتى ولو لم يعش فى الريف - أنه كان مثالاً للإنسان القروى الأصيل، ليس فى سذاجته لأن كامل الشناوى لم يكن ساذجاً،ولكنه كان قرويا فى أشياء أخرى أعمق... أنه مثل الريفى الذى يعيش فى حياة مشتركة مع الجميع تقريباً... لا يعرف الانطواء على نفسه، أو على بيته وأسرته، ولكنه يعيش مع القرية كلها، يعرف ماذا عندها، وتعرف ماذا عنده، يعيش حياة امتزاج واندماج، لا حياة انفصال وعزلة... رغم المظهر "الأرستقراطى" الذى كان يبدو أحيانا على كامل الشناوى، إلا أنه كان فى الحقيقة فلاحا، يعيش فى المدينة ويلبس ملابسها، ويظهر بمظهرها، ثم يصارع بعد ذلك من أجل أن يفرض عاداته الريفية على الجميع، وكان ينتصر.... وكثيرا ما كنت أتخيل كامل الشناوى وهو يلبس جلبابا واسعا عريضا مما يلبسه الفلاح فى قريته، وكنت، أجد فى خيالى هذه الصورة طبيعية وجميلة إلى أقصى حد، فقد أحال هذا الفلاح الساخر كثيراً من فنادقنا الكبرى إلى مصاطب... فيها ما فى المصاطب من حلاوة

وجمال ودنيا مليئة بالبهجة والانطلاق! وهذا الباب المفتوح فى حياة كامل الشناوى كما كان فضيلته الكبرى.. وكان سره وسحره، كان أيضاً نقطة ضعف فيه، فهذا الباب المفتوح منع كامل من أن يعيش مع نفسه وحيداً وكم كان يخاف الوحدة ويرفضها أشد الرفض، وكأنه كان يرى فيها صورة من الموت.. كان واحداً من أخلد وأغزر المبدعين فى حياتنا الفنية على الإطلاق، فلقد كان فى داخله شاعر كبير، فيه ما فى شاعرنا القديم عمر بن أبى ربيعة من حب للجمال وتذوق عميق له، ولكنه كان فى معدنه أكثر عمقاً من ابن أبى ربيعة.. فابن أبى ربيعة كانت خلاعته تقضى على أصالته العاطفية، أما كامل الشناوى فلم يكن يعرف الخلاعة العاطفية، بل كان ذواقة للجمال، وكان أصيلا فى عواطفه، وأكاد أتصور إذا مرت عليه صاحبة وجه جميل.... أنها لا تثير حواسه بالدرجة الأولى، بل تثير طربه ونشوته، وكأنه يسمع موسيقى رائعة أو يرى لوحة بديعة، إن الجمال الحى يطربه حقاً لما فيه من تناسق يرضى ذوقه الحساس، فكان يسكر بالجمال وينتشى بهذا السكر! ولكن كامل الشناوى لم يعش مع نفسه كثيراً.. لم يعتزل.. ولذلك فقد كان شعره الجميل قليلاً جداً... لا يملأ ديوانا واحداً هو أجمل حديقة تركها بعد أن مات..... ولقد كان باستطاعته لو وجد القوة على أن يعيش وحيداً مع نفسه أن يكتب الكثير.

لكن كامل لم يقبل أبدا أن يجعل الفن فوق الحياة، كانت الحياة عنده فوق كل شئ، حتى الفن الذى كان يملك منه الكثير... كانت سهرة من سهراته فى مقهى الفيشاوى يقرأ فيها الشعر،ويلقى بسخرياته العذبة، ويتأمل ويتناقش، ويشترى الحكمة والجنون، ويبيعها للآخرين... ليلة مثل هذه الليلة يسهرها حتى مطلع الفجر كانت عنده أفضل وأعمق وأمتع من كتابة مليون قصيدة.... تأتى له بمزيد من الشهرة أو المال،رائحة الحياة

عنده مقدسة، مسكرة... ولقد كنا نحن الذين نحبه ونملأ بعض لحظات حياته (وحياته كانت عريضة جداً تستوعب الكثيرين، ولكن أحداً لا يستطيع أن يستوعبها كلها لحظة بلحظة).... كنا دائما نتمنى أن يكتب مزيداً من الشعر، وكنا نتمنى أن تكون حصيلة حياته عدة مجموعات شعرية لا مجموعة واحدة، وكان يعدنا ولا يستجيب للوعد، ويمنينا ولا يحقق الأمنية.... دائما كان مبدؤه أن أى ذرة من التراب تحت أقدام الحياة أثمن وأحلى من أى شيء فى العالم!

"ولقد رحل كامل الشناوى الآن.. فهل كان من الصواب أن يرحل ولا يترك لنا نحن محبيه سوى ثلاثين قصيدة؟.. إنى أعاتب هذا الراحل العزيز، أعاتب ذكراه وخياله الذى لا أنساه، ليس بسبب الحب فقط."ولكن لأنه خيال يحمل معه جمالا خاصا لا يقدر النسيان عليه، على أننى أسائل نفسى وأنا أعاتب هذا الراحل العزيز.... أكنا نحن على حق عندما طلبنا منه الشعر ومنحنا هوى الحياة؟.... أكاد أشعر أنه كان أصوب منا لأسباب كثيرة، لقد عاش وملأ الدنيا، وجعل لكل لحظة فى حياته طعماً، وكانت حياته فى جملتها قصيدة أجمل وأعذب و"أبسم" من أى قصيدة يمكن أن يكتبها شاعر متمكن.

"ولقد قيل أحياناً عن كامل الشناوى إنه لم يكن يقوى على العمل أو يحبه، وأنه كان لا يعطى كثيراً فى أى صحيفة يعمل بها، وفى اعتقادى أن كامل الشناوى كان عنصراً رئيسياً من عناصر محبة العمل فى أى مكان ذهب إليه، لقد كان ينشر البهجة أينما راح والبهجة تجعل الإنسان ينتج فى يوم واحد، ما ينتجه فى يومين بلا بهجة، لقد جعل من البهجة حافزاً من حوافز الإنتاج فى كل بيئة مسها بما فيه من كهرباء الحياة!

"وكامل الشناوى قام فى الوسط الفنى والصحفى والأدبى بدور آخر..

كان بستانيا يزرع الورد ويسقيه ويرعاه، كان عاشقا من أخلص عشاق النبوغ وإذا وجد فى إنسان لمسة من هذا النبوغ أحبها وتغنى بها ووضع يد صاحبها عليها حتى ينطلق ويتقدم، وما من موهوب فى بلادنا خلال السنوات العشرين الماضية إلا وقد "عمده" كامل الشناوى قبل أن يعرفه الناس، ولذلك قال لى عبد الرحمن الخميسى ونحن نسير فى جنازة كامل. أترى كل هؤلاء الذين يسيرون وراء النعش؟ لقد ترك كامل فى حياة كل واحد منهم لمسة من الحب والحنان ودفعه إلى الأمام! قلت للخميسى: نعم... أنت على حق. وأنا أعتقد نفس الشئ! "

"لقد كان يتحمس لكل موهبة إنسانية، سواء كانت هذه الموهبة جمالا فى الوجه أو جمالا فى الصوت، أو جمالا فى العقل والوجدان، كان يتحمس للمواهب حماسا جميلا... بلا حدود، والموهبة تتحول عنده إلى أغنية يرددها فى كل مكان أنه يتحدث عنها ويكرر الحديث،ولم يكن يسأم التكرار حتى نأخذ الموهبة حقها وتتألق وتلمع. "

"لقد كان كامل الشناوى يحب الليل حبا عجيباً، إن اللون المفضل عنده هو لون الليل ولقد كان الليل فى حسابه هو الحياة، وكثيراً ما كان ينام النهار كله ويسهر الليل كله حتى تظهر أشعة الصباح فينام... ولعل فلسفة ذلك عنده هى أنه يريد أن يبتعد عن العلاقات اليومية للناس، ليعيش فى علاقات إنسانية خالصة، فالناس فى الليل أكثر "إنسانية" منهم فى النهار، إنهم فى النهار ينقسمون حسب مصالحهم، ولكنهم فى الليل يتساوون تماما.. كما أن الليل عنده كان فترة للتأمل والانطلاق بلا قيود، الليل يلقى بأعباء الإنسان بعيداً ويحرره... من هنا كان كامل يعشق الليل.. ولو كان فى حياة كامل معشوقة أسهمت فى القضاء عليه فهذه المعشوقة هى: الليل.. ذلك الحبيب.. الملعون!

لقد امتص "الليل" كامل الشناوى قطرة فقطرة.... ولم يتركة إلا جثة هامدة يشيعها بقية الأحباب والأصدقاء!

"وكان كامل الشناوى يرفض الشكل، كان يبحث عن الأشياء الجوهرية فى الحياة، وهذا هو سر كثير من التناقضات التى كانت تبدو فى حياته، كان على سبيل المثال يحب الشعر القديم ويتذوقه، ولم أشعر فى حياتى بكل ما فى الشعر العربى القديم من جمال وروعة بقدر ما شعرت بهذا كله من خلال رواية كامل الشناوى له، كان يفهمه، ويحسه، ويعرف مواطن الجمال والسحر فيه، وكان يعرضه عرضا لا مثيل له، وكان يلقيه إلقاء هو نوع من النغم الصافى الرفيع،ومرة قلت له أنت تستطيع أن تكتب ثروة هائلة من تسجيل الشعر على أسطوانات بهذا الصوت... صوتك العميق المؤثر الذى يحس ويتذوق، وقال لى أنه يفكر فى هذا الأمر... على أنه لنفسه ولم تتح له الحياة أن يحقق هذه الأمنية!

هذا العاشق المتذوق للشعر القديم لم يتجمد. ولم يرفض الشعر الجديد. بل كان يشارك فيه ويطرب له أشد الطرب عندما يستمع إليه من شاعر أصيل.

فالجمال هو جوهره هو الذى يعنيه، أما الشكل فليتغير وليتعدد... ماذا يهم!

لقد كان كامل الشناوى ابتسامة عريضة ورائعة،ملأت حياتنا - نحن الذين سعدنا بمعرفته - بألوان من البهجة والفهم. وقد ظلت هذه البسمة بسحرها وعمقها مضيئة... حتى أطفأها المرض ثم اغتالها الموت!

ومن فكاهاته وحبه للتندر والسمر شعراً يروى الصحفى إسماعيل النقيب هذه الحكاية:

"كل شيء كان ينام إلا عيون وعقل كامل الشناوى، ففى ليلة من ليالى الخريف، كنا فى الإسكندرية لحضور مهرجان الشعر، ورجعت مرهقا إلى الفندق الذى يقيم فيه كل الأدباء والشعراء الذين اشتركوا فى المهرجان ومن بينهم شاعر الليل كامل الشناوى، وما إن دخلت غرفتى حتى دخل ورائى ومعه ورقة ليملى على كلمات وقال: سأقول لك قصيدة على نمط القصيدة الجاهلية التى ألقاها الشاعر"فلان" وهو شاعر معروف ولا يزال حياً... كان قد ألقاها فى تلك الليلة وردت فيها كلمات غير مفهومة للسامعين مثل كلمة "الهزبر" ومعناها الأسد، وكلمة "أبو المنذر" ومعناه الديك - وسأنتهز جلوسى مع الأدباء والشعراء ليلا.. ثم أعلن أن إسماعيل النقيب استطاع أن يحصل على نصر صحفى.

فهو قد ضبط الشاعر "فلان" وهو يكتب قصيدة غزلية فى حب الشاعرة "فلانة" وكانت من المشتركات فى المهرجان - وبالطبع سوف يصدق الحاضرون... لأن لهذا الشاعر مواقف سابقة فى ذلك، فقد كتب ديوانا كاملاً فى حب شاعرة رومانسية خلال حضوره مهرجان الشعر فى دمشق. واتفق كامل الشناوى معى على أن أجلس فى صالة العشاء وهو يروى هذه الأخبار الجديدة عن علاقة الشاعر بالشاعرة، ثم يمد يده فجأة ليخرج القصيدة من جيبى... و... اتفقنا!!

وأملى كامل الشناوى على قصيدة جاهلية طويلة كان مطلعها:

فإن كنت أنت الظبى فى حالق الذرى

فإنى هزبر القاع والبيد والهضب

وتالله أن الحب عفة عاشق

وتحنان مشبوب الغرام بلا ذنب

فلاهم عفوا... ثم صفحا وجنة

يفئ إليها قرقر غير منتب

ولو مر ظبى بالعقيق مدلل

نفرت إليها طائر القلب واللب

إلا واحملونى بارك الله فيكم

إلى جنبها أو فاحملوها الى جنبى

قفا نبك من ذكرى حبيب بجلق

وكانت لنا فيها فنون من القلب

بلاد إذا ما مس جلدى ترابها

فبورك من جلد وبورك من ترب

وفى حلب الشهباء لاحت مليحة

مكورة الأرداف تلعب فى قلبى

ألا واذكرونى بارك الله فيكم

على الأرض ذات الزرع والضرع والعشب

وكأس الهوى من كل شهد مليئة

وقد أقفرت كأسى فقلت لها: صبى[1]

وفى صالة العشاء حكى الحكاية بطريقته الفريدة،وأصبح الكل فى لهفة إلى سماع القصيدة، خصوصا وقد قال بيتا واحدا منها، وأن هذا

(١) كان المقصود بالمداعبة الشاعر المصرى على الجندى الذى سجل إعجابه بالشاعرة السورية د. طلعت الرفاعى وأفرد لها صفحات عديدة فى كتابه «خمسة أيام فى دمشق الفيحاء».

البيت هو فقط الذى استطاع أن يلتقطه من القصيدة، وفجأة تمتد يده إلى جيبى، ليقرأ القصيدة وسط صيحات الصائحين،والكل يطلب إعادة قراءتها وصدق الناس الكلمات التى اتفقنا عليها فى ليلة من ليالى كامل الشناوى،نام فيها كل شئ إلا عيونه وعقله.

obeikan.com